الطريق إلى دمشق

كتبه نون بوست | 21 أغسطس ,2013

على الطريق وماقبل السخنة التي تتبع لمحافظة حمص مررنا بقرى خاوية على عروشها , لايوجد فيها سكان إلا مقاتلي دولة العراق الإسلامية والذين يرفعون علمهم على الحواجز التي يقيمونها , شاهدنا كيف هو حجم الدمار في تلك القرى حتى وصلنا إلى السخنة التي يسيطر عليها النظام , هنا تبدأ أولى حواجزه في مدينة تبدوا نوعاً ما خالية من السكان .

حواجز النظام على طريق دمشق توحي إليك وكأن شيءً لم يكن , عبارات من قبيل "أسود الجوية , أسود الفرقة الرابعة , الرب للعبادة وبشار للقيادة" هكذا عبارات مازالت تُكتب على حواجزهم , إلى جانب العلم الذي هندسه حافظ أسد يتوسط النجمتين وصورة لبشار الأسد .

عند الوصول إلى الريف الدمشقي على جانبي الطريق يظهر لك ثورة أخرى ربما مختلفة كلياً عن الثورة السورية في الشمال , خصوصاً لدى دخولك الشام على الطريق الذي الواقع بين القابون وحرستا , حيث الدمار يدب الرعب في قلوب مشاهديه , دمار يشرح لك عن إجرام لم يتعرض له شعب في التاريخ , قرى مسوية بالأرض , شركات وصالات السيارات المعروفة في مدخل دمشق مدمرة أو شبه مدمرة , أبنية منهارة جراء القصف الوحشي , كل تلك الصورة ترافقها عناصر النظام المتمركزة على ذلك الطريق حتى دخول دمشق .

عند نزولك من الباص عند جسر المشاة القريب من العباسيين ستسمع صوت قصف المدفعية , إلا أنك لن تعلم إن كان هذا الصوت صادراً أم وارداً نظراً لإختلاط الأمور عليك , تسير في شوارع دمشق وتسمع صوت القصف , من الصعب تحديد أين تتصاعد أعمدة الدخان وما سببها , فقد يكون صاروخاً منطلقاً من قاسيون , أو مدفعية تدك ذلك المكان , أو حتى سيارة مفخخة إن لم تكن من المدينة أو من قاطنيها , الحياة في داخلها تسير بشكل روتيني واعتيادي , سوق الحميدية مكتظ بالناس الذين جاؤوا ليتسوقوا أو ليشاهدوا منظر التسوق لعل ذلك ينسيهم ماهم فيه , سيارات

ذاهبة وأخرى قادمة تضع أغاني تمجيد الرئيس بنفس الأصوات التي غنتها منذ بداية الثورة , صور بشار وجنود الجيش والعلم الأحمر على حواجز الإسمنت الثقيلة تملئ شوارع دمشق .

لم يخيل إلي أن أرى كل هذا العدد من الحواجز داخل المدينة , أو أشاهد عدد كبير من المارة يلبسون الزي العسكري والذين أعتقد أنهم من "جيش الدفاع الشعبي" المليشيا التي شكلها النظام لصالح حمايته , سيارات الستيشن التي تشتهر بها المخابرات مازالت تملئ شوارع العاصمة والمحزن أيضاً أنها تمتلئ بالشبيحة الذين تم إستيرادهم خصيصاً إلى جانب مايسمى جيش الدفاع الوطني , شوارع دمشق مليئة بهم , والأغلبية منهم بلباس عسكري , كل تلك الأمور تجعلك تدرك شجاعة من يستطيع أن يخرج مظاهرة واحدة في هكذا جو أمني , أو تدرك شجاعة النضال السلمي الذي جعل من مجسم بشار الأسد جثةً مشنوقة على جسر والده الراحل .

في الخروج من دمشق أوقفنا حاجز للمخابرات الجوية على مايبدوا , صعد شاب منهم وبدأ يشاهد الهويات ثم أنزل 3 ممن عليهم إشكال بشأنها , أحدهم نال ضرباً مبرحاً حسبما قال لي , وقد تم إعفاؤهم بعدما دفعوا للضابط المعلوم , ثم صعد الضابط نفسه إلى الباص ليفتش الهوايا مرةً أخرى عسى أن ينال نصيباً أكثر .

لم أكن أؤمن بكلمة "محررة" حتى زرت دمشق وشاهدت ماشهدته , زرتها المرة الماضية في حزيران 2007 وشاهدت كيف كان يُسير الشعب ليهتف لبشار بعد تأديته القسم للولاية الأولى , وزرتها اليوم وهي محتلة , على أمل أن أزورها المرة القادمة وهي حرة يهتف شعبها بمطالبه المحقة دون دماء .

رابط المقال : https://www.noonpost.com/290/